أثر أوقاف العلماء في الإنفاق على العلماء وطلبة العلم والمكتبات في بلاد الشام عصر سلاطين المماليك (٦٥٨-٩٢٣هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)

أحمد مزيد رشوان مزيد (*)

مقدمة:

يعدُ الوقفُ الإسلاميُّ؛ من أهمِّ ميادين البرِّ، وأغزر روافد الخير، فقد كان الوقف للأُمة خيرَ معين؛ لسدِّ حاجاتها، ومساندة جهادها، ودعم علمائها ودعاتها، وحفظِ هُويتها وحيويتها واستمرار عطائها الحضاري والتنموي، والوقف في اللغة: الحبس مطلقاً، وهو مصدر وقفت الشيء إذ حبسته، وهو في اصطلاح الفقهاء: حبسُ عينٍ وتسبيلُ ثمرتها بقطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة خير حسب شروط الواقف(١)، وهي: صدقةٌ محرمة لاتباع ولا تشترى، ولا توهب ولا تورث، ويصرفُ ريعُها إلى جهةٍ من جهات البرِّ(٢)

والمتتبع لتاريخ الوقف في المجتمعات الإسلامية لا يخفى عليه أبدًا ما للأوقاف من دور كبيرٍ داعمٍ للحياة الدينية، وكافلٍ لكثير من علمائها وطلابها ودعاتها، ومؤسسًا لمكتباتها ومرافقها، وإذا كانت الأوقاف بصفة عامة قد أثَّرت في الحياة الدينية، فلا شك أن أوقاف العلماء قد ساهمت في هذا، فهم أقرب الناس وأعرف الناس بهذه المؤسسات و باحتياجاتها، لذا حرص كثيرٌ من العلماء في بلاد الشام على أن يقفوا جزءًا من ثرواتهم على إنشاء المنشآت الدينية والعلمية، وأوقفوا الأراضي والعقارات على مصالحها وعمارتها؛ وفي هذا الفصل سنتعرف

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [أوقاف العلماء في بلاد الشام عصر سلاطين المماليك (٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)]، وتحت إشراف: أ.د. عمر جمال محمد علي – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. صفاء شكري نظير علي – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) الطرابلسي (برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن علي الحنفي؛ ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م): الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الرائد العربي - بيروت، ١٩٨١م، ص٧؛ محمد أبو زهرة: محاضرات في الوقف، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١م، ص٣٩.

(٢) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة،٢٠٠١م، ص١.

على الأثر الكبير لأوقاف العلماء على الحياة الدينية والعلمية، من خلال مساهماتهم في هذا الجانب الكبير من جوانب الحياة ألا وهو الجانب الديني والعلمي.

تسابق سلاطينُ المماليك وأمراؤهم، بل وجُلُّ طوائف الشعب من تجارٍ وعلماءَ وحتى النساءَ كان لهنَّ في ذلك نصيب، وكان لهذا أكبر الأثر في كل جوانب الحياة السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والثقافيةِ والدينيةِ، فكان ممن سارع إلى الوقف كبابٍ من أبواب البر والإحسان العلماء؛ ولأهمية أوقاف العلماء وأثرها البالغ في شتى جوانب الحياة، جاء الحديث خلال هذه الصفحات عن **" أوقاف العلماء في بلاد الشام عصر سلاطين المماليك، (٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)"**.

كان للأوقاف أكبرَ الأثر على العلم والعلماء فقد ساهمت الأوقاف مساهمةً كبرى في خلق أجيالٍ من العلماء في العصر المملوكي سواءً عن طريق توفير المدارس والمدرسين أو عن طريق توفير الكتب والمراجع الأساسية والمكتبات من خلال الكتب التي تمَّ وقفها عليها للعامّة والخاصَّة؛ وفيما يلي نتعرف على أوقاف العلماء على العلم وأهله وطلَّابه والمنشآت التي أُنشئت لذلك.

الإنفاق على العلماء وطلبة العلم والمكتبات

مما لا يخفى أن العملية التعليمية قد حظيت في عصر المماليك باهتمام كبير، وذلك من خلال الأوقاف السخية التي أوقفت على مؤسسات التعليم، ولم يكن الوقف قاصرًا على البناء والتشييد والصيانة وتوفير المستلزمات فحسب، بل تعدى ذلك حتى يصل نفعُ وتأثيرُ الأوقاف على العلماء، وطلبة العلم والمشتغلين به، فكانت كثير من الوقفيات تخصص لهم حصصًا للإنفاق عليهم، ورعاية شؤونهم، لذا قد كثرت أعداد المتعلمين في بلاد الشام عصر المماليك، بل وقدم الكثير إليها من البلدان الأخرى، لتوافر مناخ جيد للتعليم والدراسة والتزود من العلم في ظل الأوقاف الهائلة التي أوقفها أهل الشام على العلماء وطلبة العلم وعلى المكتبات وسائر ما يخص العملية التعليمية.

وقد أشار ابنُ بطوطةَ في معرض الحديث عن أوقاف أهلِّ دمشق بأنهم: **" يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد، وهم يحسنون الظن بالمغاربة ويطمئنون اليهم بالأموال والأهلين والأولاد، وكلّ من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو**

قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه، أو قراءة القرآن أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة، أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح، ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التّامة على ذلك" [١] فكانت الأوقاف هي السبب الرئيس لتلك الانتعاشة العلمية الحاصلة في بلاد الشام عصر سلاطين المماليك.

كما ساعدت التسهيلاتُ التي قدمتها الوقفيات طلاب العلم ودفعتهم إلى الانخراطِ في العملية التعليمية، حتى يمكن لهم التفرغُ التامُّ و الانشغال بالتعليم، فقد وفرت لهم الوقفيات إلى جانب الكتب والمكتبات كذلك الطعام والسكنى لطلاب العلم والعلماء والمشتغلين به[٢].

وقد اشترط بعضُ الواقفين في وقفياتهم تخصيصُ الوقفِ لعلومٍ بعينها، مثل القرآن الكريم، أو الحديث الشريف أو غيرها من العلوم، بل حددوا عدد الطلاب المستفيدين من الوقف أحيانًا، ومن ذلك: وقفية الكمالي كمال الدين بن أبي شريف المقدسي[٣]، في سنتي ٨٩٣هـ و ٨٩٨هـ /١٤٨٨، ١٤٩٣م حيث أوقف مصابن[٤] على خمسة من قراء القرآن الكريم وخطباء المسجد الأقصى المبارك[٥]، ففي هذه الوقفية تم تحديد عدد المستفيدين الذين سيصرف لهم الوقف،

(١) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م)، رحلة ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر، ١٤١٧هـ، ج١، ص ٣٣١.

(٢) عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق، زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٥ – ١٦٤.

(٣) هو شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالي محمد بن الأمير ناصر الدين بن أبي شريف المقدسي الشافعي، ولد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بمدينة القدس ونشأ بها ودرس في المدارس العلمية وحفظ القرآن وأذن له في التدريس سنة أربع وأربعين وثمانمائة ورحل إلى القاهرة في هذه السنة وأخذ عن العلماء هناك، نظم وأنشأ ودرس وأفتى ودامت له الأمور وأصبح يشار له بالبنان في الأوساط العلمي، تولى مشيخة الصلاحية، وكذلك مشيخة الأشرفية، وتوفي في بيت المقدس سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م. العليمي (مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي، ت ٩٢٨ه /١٥٢٢م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق، عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الطبعة، الأولى، مكتبة دنديس، عمان، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ج٢، ص٣٧٧وما بعدها).

(٤) **المصابن**: هي الأماكن التي يعمل فيها الصابون. (العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٥٤).

(٥) محمد غوشة: الأوقاف الاسلامية في القدس الشريف دراسة تاريخية موثقة، تقديم خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية - استانبول، ٢٠٠٩م، ج١، ص١٦٦، ١٦٧.

وتم تخصيص نوع العلم الذي يدرسونه، وكذلك تم تحديد وظائف محددة يصرف لها من هذا الوقف، فكان هذا من أثر الأوقاف الواضح على العلماء وطلاب العلم في بلاد الشام.

وأيضًا قد خصص بعض الواقفين أوقافهم لخدمة مذهب من المذاهب بعينه دون غيره، وهذا من تأثير الأوقاف على سير العملية التعليمية، حيث تدعم الوقفيات مذهبًا فقهيا وطلابه ومدرسيه؛ ومن أمثلة ذلك: وقف نجم الدين أبو بكر بن عباس التميمي حيث وقف المدرسة الجوهرية على أتباع مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه[١]؛ وكذلك القاضي قوام الدين بن قوام الدين[٢]، كان قد وقف كتبه على الحنفية بدمشق[٣]؛ وهناك أيضًا الشيخ شعيب التركماني[٤] فقد أوقف كتبًا له على المدرسة الحنبلية بدمشق[٥]، ومن هذه الأمثلة يتضح لنا جليًا أثر الوقف في دعم وتأييد مذهب على مذهب وهذا كان واضحًا في كثير من الأوقاف كما سيأتي معنا أمثلة كثيرة جدًا لأوقاف قد خصصها أصحابها لمذاهب بعينها نصرة لها وتأييدًا ودعمًا.

(١) عبد القادر بدران: منادمة الأطلال، ص١٦٤، ١٦٥.

(٢) هو القاضي قوام الدين بن قوام الدين الرومي الأصل الدمشقي الحنفي، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بدمشق ونشأ بها، وبرع في الفنون وتصدى للإفادة والإفتاء وولي قضاء الحنفية بدمشق مسئولا بدون إرشاء غير مرة فحمدت سيرته، وكان ذا همة عالية ونفس أبية من خيار القضاة، مات مصروفا عن القضاء في ليلة الخميس ثامن ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن محمد ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)، الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، (بدون تاريخ)، ج٩، ص٢٦٦.

(٣) ابن طولون (شمس الدين محمد الصالحي الدمشقي. المتوفى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م)، قضاة دمشق، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٦م، ص٢٢٥.

(٤) هو الشيخ شعيب التركماني الحاكيري، مولده تقريبا في سنة ثمان وأربعون وست مئة، وكان رجلا جيداً وكان مقرر بالمارستان وكان رجلا مباركا حنبلياً وكان تاجرا في الكتب مدة ثم ضعُف عن الحركة واشترى بما كان معه ملكا ووقفه على نفسه ثم على المدرسة الحنبلية، توفي في يوم الاثنين سادس عشر رجب سنة ٧٣٢هـ. ابن الجزري (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي، المتوفى سنة ٧٣٨هـ)، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه- جزء فيه (من وفيات ٦٨٩هـ حتى حوادث سنة ٦٩٩هـ)، تحقيق، عمر عبد السلام، الطبعة الألى، المكتبة العصرية-صيدا- بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٦٠).

(٥) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان ، ج٢، ص٥٦٠.

وفي الجدول التالي نبين عددًا من الأوقاف التي وُجدت في دفاتر تحرير الطابو العثمانية[١] ، والتي خصص أصحابها جزءًا منها على مذهبٍ بعينه:

م	الواقف	نص الوقف	المذهب	تاريخ الوقف	المال الموقوف
١	بدر الدين بن القاضي أذرعات[٢]	وقف في كل شهر ثلاثين درهما للقراء في الجامع للأموات بحجرات السادة الحنابلة[٣]	حنبلي	٨٦٦هـ	عشرة أفران، مزرعتين، وقيسارية
٢	شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن البانياسي[٤]	وقف ثلثي الحصة من الدكان لصيق الأربع دكاكين بالبردعية على ثلاث مؤذنين بجامع الحنابلة[٥]	حنبلي	٨٥٦هـ	طاحون ، دكان، فرن، غراس أرض
٣	شرف الدين بن الشيخ	وقف على الناظر في كل شهر ماية درهم وللمدرس الحنبلي	حنبلي	٧٥٨هـ	مزرعة، فرنين،

(١) أطلق مصطلح الطابو على السند الذي يفيد حق التصرف بالأراضي، وكذلك على سند ملكية العقارات، ثم أطلق فيما بعد على دائرة تسجيل العقارات والأراضي، وهذه الدفاتر كان يتم تنظيمها عند تحرير(تسجيل) الأراضي، فقد اهتم العثمانيون عند كل فتح جديد للأراضي بالقيام بإعداد سجلات شاملة منظمة لتسجيلها؛ وهذه الدفاتر محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول.(حسن حلاق وعباس صبّاغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م ص١٤٣؛ عمر جمال محمد علي، " أوقاف التجار في دمشق وأثرها على الحياة العامة " جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب بقنا، العدد ٤٨، ص٤٩، ٥٠).

(٢) هو القاضي حسين بن علي الأذرعي ابن قاضي أذرعات درس وأفتى وناظر وناب في الحكم ثم تركه تورعا قدم الشام سنة ٧٩٣هـ، وكان يثني عليه كثيرا، وقدم القاهرة سنة ٨٠٣هـ وأقام بها مدة ثم رجع إلى دمشق، ومات في المحرم سنة ٨١٤هـ بالطاعون وهو في عقود المقريزي رحمه الله. (السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٥٢).

(٣) دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٠٢، ص١٩؛ دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٥٦، ص٢٣٩.

(٤) هو الشيخ محمد بن أحمد بن البانياسي، الدمشقي، الصالحي. منشئ الزاوية بسفح قاسيون، في آخر عمره تولى مشيخة زاوية جده لأمه، وشكرت سيرته فيها فنزل عليه ناس فيها ليلة الثلاثاء عشري شوال سنة ٩٢١ فقتلوه، ولم يعلم من هم. محمد النجدي (محمد بن عبد الله بن =حميد النجدي ثم المكي ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج٢، ص٨٨٢، ٨٨١).

(٥)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٠٢،ص ١١٤؛ دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٥٦، ص٢٢٢.

	محي الدين الحسيني[1]	في كل شهر ثلاثون درهما وللإمام الحنبلي في كل شهر خمسون درهما ولستة رجال فقهاء حنابلة من أهل السنة والجماعة في كل شهر ستون درهما وإلى ستة رجال فقهاء متوسطين حنابلة في كل شهر خمس وأربعون درهما وثمانية رجال من الفقهاء المتدينين حنابلة في كل شهر أربعين درهما وعلى الفقهاء العشرين المذكورين[2]			طاحون، دكان
٤	عماد الدين أبو عبد الله محمد بن صصري[3]	وقف على جامع الحنابلة المظفري[4]	حنبلي	٧٤٦هـ	ثلاث مزارع، وقطعة أرض
٥	برهان الدين إبراهيم بن مفلح[5]	في كل شهر عشرين درهما إلى أربعة انفار حنابلة يقرؤون القرآن يوم الجمعة بمحراب	حنبلي	٨٧٣هـ	قطعتي أرض، ثلاث

(١) هو الشيخ شرف الدين ابن الشيخ صدر الدين ابن الشيخ محيي الدين البصروي ثم الصالحي. كان فقيهاً، وله شعر، وفيه خيرٌ ودين وصلاح، وكان قائماً بعياله. توفي رحمه الله في شعبان سنة ٧٣٤هـ /١٣٣٤م. ومولده في خامس عشري شعبان سنة ٦٤٢هـ /١٢٤٥م. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٩٩٨م، ج٥، ص٢٨٠).

(٢)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٠٢، ص ١٤٩.

(٣) هو القاضي عماد الدين محمد بن سالم بن صصري بن الحافظ أبي المواهب التغلبي الدمشقي والد قاضي القضاة نجم الدين. ولد بعد الست مائة وسمع من الكندي وجماعة، وكان كامل السؤدد متين الديانة وافر الحرمة. توفي في العشرين من ذي القعدة عن سبعين سنة ٦٧٠هـ. الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، ج٣، ص٣٢١، ٣٢٢).

(٤)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٠٢، ص١٥٠.

(٥) هو القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الصالحي الحنبلي، ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ونشأ فحفظ القرآن وكتبا، وتكلم على الناس فاجاد ودرس فأفاد وولي قضاء الحنابلة بدمشق فحمدت سيرته وكان =فاضلا بارعا بل إماما فقيها عالما بمذهبه دينا أفتى ودرس، توفي سابع عشري شعبان سنة ثلاث ثمانمائة، ودفن عند رجل والده بالروضة. (السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص١٦٧، ١٦٨؛ بن طولون، قضاة دمشق، ص ٢٨٨).

		الحنابلة بالجامع الاموي[١]			غـــراس، حقلين
٦	شـرف الـدين علـي بـن محمد اليونيني[٢]	وقـف علـى مـن يقـرأ الحـديث بمسجد الحنابلة في بعلبك[٣]	حنبلي	٧٠١هـ	مزرعة
٧	شـرف الـدين محمـود بـن الشـيخ محيـي الـــدين الحسيني[٤]	وقف على المدرس الحنبلي في كل شهر ثلاثون درهما وللإمام الحنبلي في كل شهر خمسون درهما ولستة رجال فقهاء حنابلة في كل شهر ستون درهما ولستة رجال فقهاء متوسطي حنابلة في كل شهر خمسة وأربعون درهما ولثمانية رجال من فقهاء الحنابلة المبتدئين في كل شهر أربعون درهما[٥]	حنبلي	٧٥٨هـ	حكـــر، قطعـــة أرض، فـــرنين، مزرعـة ، دكان

يتبيّن مما سبق في هذا الجدول أنَّ كل هذه الوقفيات اعتنى أصحابَها بالمذهب الحنبلي المنسوبِ إلى الامام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ / ٧٨٠-٨٥٥م)، وشملت الأوقاف على قراء القرآن والمؤذنين والفقهاء والأئمة الحنابلة، وعلى

(١)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٠٢، ص٢٠٨،٢٠٧.

(٢) هو الشيخ شرف الدين أبو الحسن، الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله اليونيني ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة، واشتغل وتفقه، وكان عابدا عاملا كثير الخشوع، ثم توفي إلى رحمة الله يوم الخميس حادي عشر رمضان سنة ٧٠١هـ ببعلبك، ودفن بباب بطحا، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله. (الذهبي: معجم الشيوخ الكبير، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى، مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٠؛ سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم، بشار عواد معروف، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ج١٣، ص٢٠٨، هامش رقم: ٤؛ ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن =أحمد العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) الدرر: الطبعة الثانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن –الهند، صحح أصوله وقابله في طبعته (الأُولى)، سالم الكرنكوي، المستشرق الألماني (وخُتِمَتْ تعليقاته في الهامش بحرف (ك)، ١٩٧٢م، ج٤، ص١١٦، ١١٧، رقم: ٢٢٣).

(٣)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٠٢، ص٢٩٧.

(٤) هو الشيخ شرف الدين ابن الشيخ صدر الدين ابن الشيخ محيي الدين البصروي ثم الصالحي، كان فقيهاً، وله شعر، وفيه خيرٌ ودين وصلاح، وكان قائماً بعياله. توفي رحمه الله في شعبان سنة ٧٣٤هـ /١٣٣٤م. ومولده في خامس عشري شعبان سنة ٦٤٢هـ /١٢٤٥م. (الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص٢٨٠).

(٥)دفتر تحرير الطابو رقم: ٣٩٣، ص١٦٩.

مساجد ومدارس السادة الحنابلة، وقد كانت المدارس متنوعة، فمنها ما يختص بتدريس المذاهب الأربعة، ومنها ما هو مختص بتدريس مذهبين، ومنها ما هو مختص بتدريس مذهب واحد[١]؛ مما أعطى فرصة لكل واقف أن يخصص وقفه لمذهبه المختار والمرجح عنده، وهذا قد ظهر في الوقفيات السالفة وكيف أنها خصصت لخدمة المنتمين إلى المذهب الحنبلي، وسنعرض في الجداول الآتية وقفيات خدمت مذاهب أخرى.

وفي الجدول التالي نبين كمًا من الأوقاف التي خصص أصحابها جزءًا منها على مذهبٍ بعينه:

م	الواقف	نص الوقف	المذهب	تاريخ الوقف	المال الموقوف
١	شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن العدوي[٢]	جعل جزءًا من وقفه على فقهاء الشافعية بمدرسة الشامية البرانية[٣]	شافعي	٨٧٣هـ	ثلاثة دور، مصبنتين، خان
٢	محب الدين بن محمد الفرفوري[٤]	فرفور يصرف في كل سنة لإمامة المسجد الشريف النبوي في المدينة الشريفة وإمام الشريف المكي الشافعي في خمس مائة درهم بينمها نصفين[٥]	شافعي	٨٩١هـ	مزرعتين، وفرنين

(١) عمار محمد النهار: عصر المماليك البحرية، الطبعة الأولى، دار النهضة، ٢٠٠٧م، ص ١٤٦، وما بعدها.

(٢) هو القاضي شمس الدين العدوي عامل أوقاف الشامية البرانية وبيده حصة من وقف المارستان النوري، وله تلاوة وصوم وإحسان للفقراء الحجازيين وغيرهم وكان والده قبله كذلك ودفن بمقبرة الصوفية عند قبر والده بتربتهم وهي معروفة وهناك بقعة ليس فيها بناء رحمه الله تعالى توفي عن نحو سبعين سنة. البصروي (علاء الدين علي بن يوسف بن علي بن أحمد، الدمشقيّ العاتكي الشافعي ت ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م)، تاريخ البصروي، الطبعة الأولى، تحقيق، أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث، ١٤٠٨هـ، ص٤١).

(٣)دفتر تحرير الطابو رقم: ٣٩٣، ص٧٠؛ دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٥٦، ص١٤١.

(٤) هو القاضي محب الدين بن محمد الفرفور وهو ابن عم القاضي الشافعي عامل ديوان الجيش بدمشق، كان فيه بر وصدقة للفقراء والصالحين والعلماء كان اضر في آخر عمره من نحو ثلاث سنين صلي عليه بالجامع الأموي توفي سنة ٩٠٠هـ /. البصروي: تاريخ البصروي، ص١٥٣).

(٥)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٥٦، ص٢٣٧.

وهذا عدد من الوقفيات جعلها أصحابها على مصالح المذهب الشافعي، الذي ينسب إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ (١٥٠-٢٠٤هـ / ٧٦٧-٨٢٠م)، وجاءت الوقفيات لصالح فقهاء، ومدرسين، وأئمة، كلهم ينتمون إلى المذهب الشافعي.

ونتابع في الجدول التالي وقفيات لصالح مذاهب أخرى.

م	الواقف	نص الوقف	المذهب	تاريخ لوقف	المال الموقوف
١	زين الدين عبد الرحمن العيني	والربع يكون وقفا على مدرس حنفي وعشرة فقها حنفية[١]	حنفي	٨٩٣هـ	غراسين، أربع مزارع، أربع أفران، خمس قطع أرض، بيت
٢	شيخ قطب الدين بن كمال الدين[٢]	وقف على القارئين ولإمام الحنفية بحرم مكة ولإمام الحنفية بحرم المدينة ولإمام الحنفية بحرم الصخرة الشريفة[٣]	حنفي	٩٢٢هـ	طاحونة

وهذه كانت وقفًا على مصالح الفقهاء والقراء الأحناف الذين ينتسبون إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن مرزُبان الكوفيّ (٨٠-١٥٠ هـ/ ٦٩٩-٧٦٧م)، ومذهبه أقدم المذاهب الفقهية المشتهرة، وهو من المذاهب الأكثر انتشارًا في بلاد الشام، ففي دمشق كانت هناك اثنتان وخمسون مدرسة للأحناف [٤]، ولعل هذا التنافس بين المتحمسين للمذاهب المختلفة كان سببًا رئيسًا في انتشار تلك المدارس وكثرة الأوقاف عليها.

(١)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٥٦، ص٢٤٠؛ دفتر تحرير الطابو رقم: ٣٩٣، ص١٩٢.

(٢) هو الشيخ الامام قطب الدين محمد بن محمد بن عمر بن سلطان، المحقق المدقق الفهامة، شيخ الإسلام، مفتي الأنام، ببلاد الشام، المعروف بابن سلطان الدمشقي، الصالحي الحنفي، ميلاده في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول سنة سبعين وثمانمائة، عمل بالتدريس، وتولى القضاء، توفي سنة ٩٥٠هـ. الغزي (نجم الدين أبو المكارم محمد بن محمد العامري القرشي الدمشقي، ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م)، الكواكب السائرة، الطبعة الأولى، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٣).

(٣)دفتر تحرير الطابو رقم: ٦٥٦، ص٢٤٢.

(٤) أكرم حسن العلبي: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين (٩٠٦-٩٢٢هـ، ١٥٠٠-١٥٢٠م ص١٨،١٩)دراسة تاريخية واجتماعية وثقافية واقتصادية، الطبعة الأولى، الشركة المتحدة دمشق، ١٩٨٢م، ، ص١٧٥.

أما المذهب المالكي فقد وجدت له مدارس ومنشآت تخدم المنتمين إليه وإن كانت الأقل من بين المذاهب، فلم يكن للمالكية في دمشق سوى أربع مدارس فقط[١]؛ وفي دفاتر الطابو قد وُجد وقف بتاريخ ٨٨٥هـ، على مصالح المالكية، وهذا في وقف جمال الدين محمد عبد الملك السلمي المالكي، حيث جعل جزءً من وقفه على الفقهاء والمتفقة المالكية[٢].

كذلك شمل التنافس على الوقف لصالح العلم وأهله وطلابه الوقف على الكتب والمكتبات، لتوفير المطلوب من كتب يحتاج إليها بطبيعة الحال المشتغلين بالعلم، ومن ذلك: ما قدمه محمد بن داود بن ياقوت الصارمي[٣] فقد كان باذلاً لكتبه وخطه للمشتغلين، وكتب مجلدات وأجزاء كثيرة[٤]؛ وهذا موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الطبيب، المعروف بابن أبي أصيبعة، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات لطاف، وهو وقف بمشهد ابن عروة بالأموي[٥]؛ ومنهم صفي الدين

(١) النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧هـ /١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق، جعفر الحسني، مطبعة الترقي بدمشق، ١٩٤٨م، الدارس، ج٢، ص٣-١٠.

(٢) دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، ص٢٠٤.

(٣) هو الشيخ محمّد بن داود بن عليّ بن ياقوت ناصر الدين، الصارميّ، كان رجلا صالحا عالما مفيدا للطلبة. كتب بخطّه الكثير، وسمع على قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكيّ القرشيّ الدمشقيّ، وقدم إلى القاهرة في رمضان =سنة خمس وثلاثين وستّمائة. وخرج منها في ذي الحجّ، ومات بدمشق في سادس عشر من جمادى الآخرة سنة ستّين وستّمائة. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)، المقفى الكبير، تحقيق، محمد اليعلاوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي، - بيروت - لبنان، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ج٥، ص٣٤٤).

(٤)اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ /١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، ١٩٩٢ م، ج٢، ص١٧٩، ١٨٠.

(٥) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت ٧٧٤ هـ /١٣٧٣م)، البداية والنهاية، مطبعة دار السعادة- القاهرة، ١٩٣٢-١٩٣٩، ج١٧، ص٤٨٨؛ البرزالي: تاريخ البرزالي، ج١، ص٢٠٦، ٢٠٧.

جوهر التفليسي[١]، فقد وقف أجزاءً له ملكها على أهل الحديث[٢]؛ وأيضًا هناك الشيخ صلاح الدين العلائي[٣] كان له عدة مصنفات أو قفها على الخانقاه السيمساطية بدمشق[٤].

ومن ذلك وقف شمس الدين أبي عبد الله المجدلي[٥] فقد نسخ عدة كتب ووقفها[٦]؛ وأيضًا هذا شهاب الدين داوود بن سليمان داوود الكوراني[٧] قد أوقف جملة من الكتب على المشتغلين بالعلم[٨]؛ كما أن شمس الدين أبو العباس بن خلكان[٩] قد وقف أجزاؤه ومسموعات بدار الحديث

(١) هو الشيخ المحدث صفى الدين جوهر التفليسى، اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء، وكان رجلا جيدا، مباركا صالحا، مات فى سنة ٧٠٠ه/ ١٣٠٠ مـ، رحمه الله. العيني (بدر الدين محمود العيني ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٧١٢ هـ)، حققه ووضع حواشيه، محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ٢٠١٠ م، ج٤، ص١٥٦).

(٢) العيني: عِقْد الجُمَان، ج٤، ص١٥٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص١٧.

(٣) هو الشيخ صلاح الدين العلائي، وكان مدة مقامه بالقدس مدرسا بالمدرسة الصلاحية وشيخا بدار الحديث السكرية ثلاثين سنة، وقد صنف وألف وجمع وخرج، وكانت له يد طولى بمعرفة العالي والنازل، وتخريج الأجزاء والفوائد، وله مشاركة قوية في الفقه واللغة والعربية والأدب، وقد ولى بعده التدريس بالصلاحية الخطيب برهان الدين ابن جماعة والنظر بها، وكان معه تفويض منه متقدم التاريخ، مات بالقدس الشريف سنة إحدى وستين وسبعمائة. (ابن كثير: البداية من النهاية، ج١٤، ص٢٦٧).

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص ٢٦٧.

(٥) هو الشيخ محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمود بن مسعود بن تاشيل المجدلى الخابوري الأصل الدمشقى، ولدسنة ٦٧٥ وسمع على الفخر على والتقي الواسطي وغيرهما وحدث سمع منه أبو الفضل شيخنا جزء المهندري أخذ عنه ابن رافع وجماعة وكان يؤم بتربة الجيبغا وكان مقرئا خيرا أقام بالصالحية مدة ثم توجه إلى صفد فاتفق موته بها في جمادى الآخرة سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م. (ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص٣٨٣).

(٦) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية- دمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٩٩٤م، ج٣، ص٧٣.

(٧) هو الشيخ الفقيه شهاب الدين داوود بن سليمان بن داوود الكوراني الفقيه الشافعي، كان رجلا جيدا ساكنا فقيها مشتغلا بالعلم مرتبا بالشامية البرانية بدمشق، ثم ولي التدريس =بالمدرسة السيفية بالصلت وأقام بها مدة، ثم توفي بمدينة الصلت في تاسع عشر جمادي الآخر سنة ٧٣٤هـ. (ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٧٠٤).

(٨) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٧٠٤.

(٩) هو شمس الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، البلخي الأصل، الإربلي المولد، الدمشقي الدار والوفاة، الشافعي، قاضي قضاة دمشق وعالمها، ومؤرخها، ولد بإربل حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة، وتفقه بالموصل، ثم دمشق، وبرع في الفقه والأصول والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس، ونظم ونثر، ولي

الأشرفية[١]؛ وشمس الدين بن بشارة الكلابي[٢] وقف أجزائه بدار الحديث النورية[٣]؛ كما وقف عز الدين محفوظ بن معتوق بن البزروي[٤] كتبًا كثيرة قد حصلها على تربته بسفح قاسيون[٥]؛ ووقف صلاح الدين الخليلي[٦]نسخة من ثلاث نسخ كتبها من (شرح الوجيز) وباع اثنين وحج بثمنهما[٧]؛ وكذلك كان وقف علاء الدين علي بن المظفر[٨]فقد جمع كتابًا في نحو خمسين مجلد فيه علوم جمة أكثرها أدبيات سماه التذكرة الكندية وقفها بالسميساطية[٩].

قضاء دمشق من القاهرة، وخرج منها في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وستين وستمائة، وتوجه إلى دمشق فدخلها في المحرم سنة سبع وستين، فباشرها مدة عشر سنين، دام في هذه =الولاية بدمشق إلى سنة ثمانين وستمائة، صرف عن القضاء ولزم داره إلى أن توفي في سنة إحدى وثمانين وستمائة. ابن شاكر (صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن توفي ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) فوات الوفيات، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، تحقيق إحسان عباس، ١٩٧٤، ج١، ص، ١١٠، رقم ٤٥؛ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه، محمد أمين، تقديم، سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (بدون تاريخ)، ج٢، ص٨٩، رقم ٦٠٨).

(١) البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٢، ص٧،٨.

(٢) هو الشيخ شمس الدين، محمد بن محمد بن بشارة بن ذبيان الكلابي، الدمشقي، وكان شابًا، طلب الحديث مدة، وله إجازات، وقرأ القرآن العظيم بروايات، واشتغل، ووقفت أجزاؤه بدار الحديث النورية، توفي في شعبان سنة ٦٨٣هـ /- ١٢٨٤ م. (البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٢، ص٤٩).

(٣) البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٢، ص٤٩.

(٤) هو الشيخ المحدث والتاجر البارع محفوظ بن معتوق البغدادي المعروف بابن البزوري، وكان تاجرا سريا ومحدثا جمع تاريخا جعله ذيلا على المنتظم في تاريخ الامم للحافظ ابن الجوزي توفي سنة أربع وتسعين وستمائة ودفن بها. (النعيمي: الدارس، ج٢، ص١٧٨؛ البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٢، ص٣٨٢).

(٥) البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٢، ص٣٨٢؛ عبد القادر بدران: منادمة الأطلال، ص٣٢٤.

(٦) هو الفقيه صلاح الدين الخليلي، أحد فقهاء الباذرائية، وكان له مدة طويلة بالباذرائية. وكتب "شرح الوجيز" ثلاث مرات، توفي في رابع جمادى الآخرة، سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م، ودفن بباب الصغير. (البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٣، ص٤٧٤،٤٧٣).

(٧) البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٣، ص٤٧٤،٤٧٣.

(٨) هو المحدث الأديب علاء الدين على بن المظفر الكندي بن إبراهيم الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي، مؤلف "التذكرة"، وله نظم رائق، سمع الحديث على أزيد من مائتي شيخ وقرأ القراءات السبع وحصل علوما جيده، توفي في سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م. ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي العمري، ت ٧٤٩هـ /١٣٤٩م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ، ج٢٧، ص٥١٤؛ النعيمي: الدارس، ج١، ص٨٥).

(٩) النعيمي: الدارس، ج١، ص٨٥.

وممن وقف كتبًا على طلاب العلم والمشتغلين به شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي[١]؛ ومنهم: عماد الدين الأنصاري[٢] فقد كتب وصنف كتبًا ووقفها على المسلمين[٣]؛ ومنهم: ناصر الدين الهمداني الدمشقي[٤] فقد كتب صحيح البخاري في ثلاثة مجلدات، ووقفها بدار الحديث المعيدية ببعلبك المحروسة[٥].

ومن هؤلاء أيضًا: محمد بن عبد المنعم الحراني[٦] فقد أوقف كتبه وأجزاءه بالضيائية[٧]؛ كذلك ممن وقف كتبًا لصالح العلم وطلابه وقاصديه، حمزة بن

(١) هو الفقيه شهاب الدين المقدسي الأصل الدمشقي عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، الشافعي المعروف بابن أبي شامة، مولده في الثالث والعشرين من ربيع الآخر بدمشق سنة تسع وتسعين، وكان قد وقف معظم كتبه، كان أحد الأئمة تلا على السخاوي وعني بالحديث فسمع بنفسه من داود ابن ملاعب وأحمد بن عبد الله العطار والشيخ الموفق وطائفة، وبرع في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الاجتهاد، مات في سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م. (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٦٧،٣٦٨؛ تاج الدين السبكي (عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، هجر للطباعة، ١٤١٣هـ، ج٨، ص١٦٥-١٦٨).

(٢) هو الشيخ عماد الدين، محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد الأنصاري، الدمشقي، المعروف بابن الصائغ، بدمشق، ودفن بسفح قاسيون، وكان مدرسا بالمدرسة العذراوية، وشاهدا بديوان الخزانة بقلعة دمشق، وله معرفة بالحساب والجبر والمقابلة، وسمع من ابن الزبيدي، وابن اللتي، وابن صباح، وابن غسان، =والسخاوي، وغيرهم، توفي في ثامن رجب سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م. (البرزالي: تاريخ البرزالي، ج١، ص٣٤٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥٠، ص١٦٦).

(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص١٥٠.

(٤) هو الشيخ ناصر الدين محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الهمداني الدمشقي، كان رجلاً فاضلاً له معرفة بالحديث، سمع الكثير على مشايخ عصره، وسمع وكتب من كتب الحديث شيئاً كثيراً، وكان متقناً متفنّناً محرراً لما يكتبه، توفي سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م ودفن بسفح قاسيون. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م)، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٦٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (بدون تاريخ)، ج٧، ص٢٨٥؛ الذهبي: معجم الشيوخ الكبير، ج٢، ص٢٣١، ٢٣٢).

(٥) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٤٣٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٦٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٨٥.

(٦) هو الشيخ المحدث شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عبد المنعم بن عمار بن هامل الحراني، الحراني، الحنبلي الحافظ، كان فاضلا، سمع ببغداد، والشام، وديار مصر، وحدث بالكثير، وكان أحد المعروفين بالطلب والإفادة، توفي في ثامن رمضان سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٣م. (البرزالي: تاريخ البرزالي، ج١، ص٢٧٦؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٣٢٣).

(٧) ابن طولون: القلائد الجوهرية، تحقيق، محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، القسم الأول، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ص١٣٤.

موسى الصالحي حيث وقف كتبًا بتربته بالصالحية[١]؛ وأخيرًا وليس آخرًا منهم: علي بن مسعود بن نفيس الموصلي[٢] كان قد وقف كتبه

وأجزاءه[٣] أيضًا على طلاب العلم وأهله؛ والقاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي ثم الدمشقي الشافعي، توفي(٧٣٩هـ-١٣٣٨م) قد كان باذلًا لكتبه لا يمنعها عمن سألها، وقد أوقف كتبه[٤]؛ وأحمد بن سعد بن محمد أبو العباس العسكري العسكري الأندرشي الصوفي (ت٧٥٠هـ -١٣٤٩م)، حيث أوقف كتبه على أهل العلم، وكان شيخ العربية في زمانه بالشام[٥].

ولا شك أن هذه الأوقاف وغيرها من أوقاف جعلت خدمة للعلم وأهله وطلابه أثرت المكتبة الإسلامية في ذاك الزمان، فقد كان الوقف من أهم وسائل تزويد المكتبات بالكتب، وعملية وقف الكتب أكثر من أن تعد، ولا تكاد توجد مكتبة في بلاد الشام في العصر المملوكي إلا وقد أوقفت عليها الكتب.

الخاتمة:

تناولت في هذه الدراسة بتوفيق الله تعالى أوقاف العلماء في بلاد الشام عصر سلاطين المماليك (٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)، وقد حاولت جاهدًا تحري الدقة في كل ما ذكرت من خلال الاعتماد على كمٍ من المصادر والمراجع المختلفة، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي: -

١. بينت الدراسة أن دوافع أوقاف العلماء تتنوع ما بين دينية وعلمية واجتماعية واقتصادية، وقد كانت هذه الدوافع سببًا في إسهامهم بتشييد بنيةٍ حضاريةٍ إسلاميةٍ لبلاد الشام خلال العصر المملوكي.

(١) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٤٢٢.

(٢) هو الشيخ الصالح، المحدث، نور الدين، أبو الحسن، علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي، ثم الحلبي، ولد سنة ٦٣٤هـ، وكان رجلا صالحا، من المشهورين بطلب الحديث وكتابته وقراءته من نحو خمسين سنة، وعني بالحديث وقرأ الكثير وحصل الأصول وأكثر بدمشق عن ابن عبد الدائم والكرماني وابن أبي اليسر وغيرهم وكان صالحا مفتيا، توفي في صفر في سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. (ابن حجر: الدرر، ج٤، ص١٥٣، ١٥٤؛ البرزالي: تاريخ البرزالي، ج٣، ص٢٦٦؛ ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٤٤٢، ٤٤٣).

(٣) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٤٤٢، ٤٤٣.

(٤) ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص١٩٦.

(٥) الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص٢١٦، ٢١٧.

٢. تبين من خلال الدراسة أن التوسع الذي شهدته الأوقاف في عصر الدولة المملوكية، قد أدى إلى تنوع مجالاته وكثرت أغراضه في بلاد الشام، فجاءت ما بين أحباس وأوقاف خيرية وذرية ومشتركة فيما بينهما، وتبعًا لهذا التنوع ظهرت تنظيمات إدارية جعلت لأهم هذه الأنواع دواوين مسؤولة تدير شؤونها، ونظَّارًا يرعون مصالحها، وهذا باعتبارها من أهم روافد بيت المال في ذلك العصر.

٣. كشفت الدراسة أن الإشراف على الأوقاف وتنظيماتها تطلب وجود عدد من الموظفين القائمين بشؤونها، وأنه لابد من توافر بعض الشروط في هؤلاء الموظفين حتى يكونوا لائقين بهذا العمل بالشكل الذي يضمن تحقيق الهدف الذي أنشئ الوقف لأجله.

٤. ألقت الدراسة الضوء على اتساع أملاك العلماء وثرائهم، فالأعيان الموقوفة كانت متنوعة وتركز أغلبها في الأراضي، والبساتين، والمزارع، والكروم، وغيرها، بالإضافة إلى المنشآت التجارية والصناعية كالقياسر والخانات، والدكاكين والطواحين، والمعاصر وغير ذلك، إضافة إلى الكتب والمؤلفات النافعة للمسلمين والتي يُعدُّ وقفها من أخص أنواع الوقف بالعلماء، فهم أصحابها ومؤلفيها.

٥. ومما يجدر ذكره وقد تبين من خلال هذه الدراسة، أن دور العلماء في نشر العلم ورعاية طُلابه، لم يتوقف عند تعليم الناس وتبليغهم صحيح الدين ومقاصد الشريعة، من خلال الخطب والدروس والمحاضرات والمؤلفات، وإنما كان لهم دورًا بارزًا في الإنفاق والرعاية وتقديم العون والدعم لدور العلم ومراكز الثقافة المختلفة من خلال الأوقاف عليها وعلى طلاب العلم فيها لا سيما الأيتام منهم والفقراء، بالإنفاق عليهم، وتوفير كل ما تحتاجه هذه المنشآت لقيامها بدورها على أكمل وجه.

٦. أمكن من خلال هذه الدراسة الوقوف على عدد كبير من العلماء من المشهورين والمغمورين من أصحاب الأوقاف والمساهمات.

٧. ألقت الدراسة الضوء على المنشآت الكثيرة التي شيّدها العلماء في بلاد الشام وتنوعها، حيث شملت المساجد والجوامع، ودور القرآن الكريم،

ودور الحديث النبوي، والمدارس، ومنشئات التصوف كالخوانق والرُّبُط والزوايا، بالإضافة إلى الترب والخانات والأسبلة.

وقد خرجت من هذه الدراسة بعدةِ وصايا لتفعيل نظام الوقف في حياتنا المعاصرة، وهذه الوصايا هي: -

١. العمل على تفعيل الوقف في المجتمع، يكون ذلك من خلال إنشاء مراكز أو هيئاتٍ حكومية في الأحياء تتولى رعاية الأوقاف بها، أضف إلى ذلك التيسير على أفراد المجتمع سُبل الوقف في مختلف مجالات الحياة.
٢. السعي لإدراج الوقف الإسلامي ضمن التخصصات الجامعية، ليخرج لنا متخصصون في الأوقاف ومؤسساتها، وكيفية إدارتها، كما يمكن إضافته للمناهج الدراسية في الكليات التي لها اختصاصٌ بالجانب الشرعي والمالي والإداري ليتخرّج منها العلماء والقضاة والمحامين وغيرهم من المختصين بشئون الأوقاف.
٣. السعي إلى تفعيل دور الأوقاف في مجال التعليم، وذلك من خلال إنشاء المكتبات التي تُوقف فيها الكتب التي يحتاجها طلاب العلم في كلِّ علمٍ وفن، ويستطيعون الحصول عليها والوصول إليها عن طريق الاستعارة والاطلاع من داخل المكتبة، والتوعية بأهمية هذا العمل وتحفيز الناس للوقفِ عليه، لتنتشر المكتبات التي تخدم سائر العلوم برعاية وإنفاق الأوقاف عليها في كل بلاد العالم، لاسيما البلاد الفقيرة.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الوثائق غير المنشورة:

١- دفتر تحرير الطابو رقم ٣٩٣، تاريخه غير مُحدد، ويرجع إلى فترة حكم السُّلْطان سليمان القانوني (٩٠٤-٩٧٤هـ/١٥٤٧-١٥٦٦م)، وتاريخ أحدث وقفية(٩٥٤هـ/١٥٤٧م).
٢- دفتر تحرير الطابو رقم ٦٠٢، تاريخه ٩٩٠هـ/١٥٨٢م.
٣- دفتر تحرير الطابو رقم ٦٥٦، يرجع تاريخه إلى فترة حكم السُّلْطان مراد الثالث (٩٨٢- ١٠٠٣هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م).

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

١. البرزالي (علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف الإشبيلي الدمشقي، ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م)، "المقتفى على كتاب الروضتين (المعروف بتاريخ البرزالي)، (٤ أقسام)، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢. البصروي (علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي، ت ٩٠٥ه / ١٤٩٩م)، تاريخ البصروي (صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة ٨٧١ه إلى ٩٠٤ه)، تحقيق ودراسة، أكرم حسن العلبي، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراس، دمشق، ١٩٨٨م.

٣. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م)، رحلة ابن بطوطة، (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط, ١٤١٧ هـ.

٤. ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكي، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه، محمد أمين، تقديم، سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (بدون تاريخ).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥ -٢٠٠٦م.

٥- ابن الجزري (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ت٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، تاريخ حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الشيوخ والأعيان من أبنائه، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٦- ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.

٧- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م).
- سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٥٢، (حوادث وتراجم سنة ٦٩١-٧٠٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٠م.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت ،١٩٨٤م.
- معجم الشيوخ الكبير، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى، مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م.
٨- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م).، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، هجر للطباعة، ١٤١٣هـ.
٩- السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن محمد ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون تاريخ).
١٠- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).
- الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، علي أبي زيد، نبيل أبي عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، قدم له، مازن عبد القادر المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.
١١- الطرابلسي (برهان الدين إبراهيم بن موسى الحنفي، ت ٩٢٢ه /١٥١٦م)، "الإسعاف في أحكام الأوقاف " دراسة وتحقيق، صلاح محمد أبو الحاج، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.

١٢- ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الصالحي الدمشقي، ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، قسمان، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، مطبوعات مَجْمَع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠م.
- قضاة دمشق، تحقيق، صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٦م.
١٣- العليمي (مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي، ت ٩٢٨ه /١٥٢٢م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق، عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الطبعة، الأولى، مكتبة دنديس، عمان، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
١٤- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي، ت ٧٤٩هـ /١٣٤٩م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
١٥- العيني (بدر الدين محمود العيني، ت ٨٥٥ هـ /١٤٥١م).
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٧١٢ هـ)، تحقيق ووضع حواشيه، محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠ م.
١٦- الغزي (نجم الدين أبو المكارم محمد بن محمد العامري القرشي الدمشقي، ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م) الكواكب السائرة، الطبعة الأولى، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٧- ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهببي الدمشقي، ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق، عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية- دمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٩٩٤م-١٩٩٧م.
١٨- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، مطبعة دار السعادة- القاهرة، ١٩٣٢م.

١٩- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)، المقفى الكبير، تحقيق، محمد اليعلاوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
٢٠- النجدي (محمد بن عبد الله بن حميد المكي، ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
٢١- النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧هـ /١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق، جعفر الحسني، مطبعة الترقي بدمشق، ١٩٤٨م.
٢٢- اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢ م.

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة

١- أكرم حسن العُلبي، خطط دمشق، دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام، لدور القران والحديث والمدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والربط والزوايا والأسواق والخانات والحمامات والدروب، الطبعة الأولى، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٩م.
٢- ابن بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق، زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
٣- عمَّار محمد النهار، عصر المماليك البحرية، الطبعة الأولى، دار النهضة، ٢٠٠٧م.
٤- محمد أمين، الأوقاف الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٤م .
٥- محمد غوشة: الأوقاف الاسلامية في القدس الشريف دراسة تاريخية موثقة، تقديم خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية - استانبول، ٢٠٠٩م.